

تفسير ابن كثير

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ^ط وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ^ق وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ^ق وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ

نهى الله ، تبارك وتعالى ، عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين ، وأن يتخذوهم أولياء يسرون

إليهم بالموودة من دون المؤمنين ، ثم توعد على ذلك فقال : (ومن يفعل ذلك فليس من

الله في شيء) أي : من يرتكب نهى الله في هذا فقد برئ من الله كما قال : (يا أيها

الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم

سلطانا مبينا) [النساء : 144] وقال [تعالى] (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود

والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم [إن الله لا يهدي القوم

الظالمين]) [المائدة : 51] . وقال تعالى [(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي

وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالموودة) إلى أن قال : (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء

السبيل) [الممتحنة : 1] وقال تعالى - بعد ذكر موالاته المؤمنين للمؤمنين من

المهاجرين والأنصار والأعراب - : (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن

فتنة في الأرض وفساد كبير) [الأنفال : 73] .وقوله : (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي :
إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم ، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه
ونيته ، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال : " إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا
تلعنهم " .وقال الثوري : قال ابن عباس ، رضي الله عنهما : ليس التقية بالعمل إنما التقية
باللسان ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس : إنما التقية باللسان ، وكذا قال أبو العالية ،
وأبو الشعثاء والضحاك ، والربيع بن أنس . ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى : (من كفر بالله
من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان] ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم [] ([النحل : 106] .وقال البخاري : قال الحسن :
التقية إلى يوم القيامة .ثم قال تعالى : (ويحذركم الله نفسه) أي : يحذركم نعمته ، أي
مخالفته وسطوته في عذابه لمن والى أعداءه وعادى أوليائه .ثم قال تعالى : (وإلى الله
المصير) أي : إليه المرجع والمنقلب ، فيجازي كل عامل بعمله .قال ابن أبي حاتم :
حدثنا أبي ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا مسلم بن خالد ، عن ابن أبي حسين ، عن
عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون [بن مهران] قال : قام فينا معاذ بن جبل

فقال : يا بني أود ، إني رسول رسول الله إليكم ، تعلمون أن المعاد [إلى الله] إلى الجنة

أو إلى النار.